

## الكبائر

الكبيرة السابعة و الأربعون - نشوز المرأة على زوجها .

قال ا [ تعالی : { و اللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن و اهجروهن في المضاجع و اضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن ا [ كان عليا كبيرا } .  
قال الواحدي C تعالی : النشوز ههنا معصية الزوج و هو الترفع عليه بالخلاف و قال عطاء : هو أن تتعطر له و تمنعه نفسها و تتغير عما كانت تفعله من الطواعية { فعظوهن } بكتاب ا [ و ذكروهن ما أمرهن ا [ به { و اهجروهن في المضاجع } قال ابن عباس هو أن يوليها ظهره على الفراش و لا يكلمها و قال الشعبي و مجاهد : هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها { و اضربوهن } ضربا غير مبرح و قال ابن عباس أدبا مثل اللكزة و للزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن ا [ له مما ذكره ا [ في هذه الآية { فإن أطعنكم } فيما يلمس منهن { فلا تبغوا عليهن } .

قال ابن عباس : فلا تتجنوا عليهن العلل و الصحيحين : أن رسول ا [ صلى ا [ عليه و سلم قال : [ إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت لعنتها الملائكة حتى تصبح ] و في لفظ - فبات و هو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح - و لفظ الصحيحين أيضا : [ إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها ] .

و [ عن جابر Bه عن النبي صلى ا [ عليه و سلم : ثلاثة لا يقبل ا [ لهم صلاة و لا ترفع لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم المرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها و السكران حتى يصحو ] .

و [ عن الحسن قال حدثني من سمع النبي صلى ا [ عليه و سلم يقول : أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها و عن بعلها ] و في الحديث : [ أن رسول ا [ صلى ا [ عليه و سلم قال : لا يحل لامرأة تؤمن با [ و اليوم الآخر أن تصوم و زوجها شاهد إلا بإذنه و لا تأذن في بيته إلا بإذنه ] أخرجه البخاري و معنى شاهد أي حاضر غير غائب و ذلك في صوم التطوع فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه و طاعته و قال صلى ا [ عليه و سلم : [ لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ] رواه الترمذي و قالت [ عمة حصين بن محسن و ذكرت زوجها للنبي صلى ا [ عليه و سلم فقال : انظري من أين أنت منه فإنه جنتك و نارك ] أخرجه النسائي و [ عن عبد ا [ بن عمرو Bهما قال قال رسول ا [ صلى ا [ عليه و سلم : لا ينظر ا [ إلى امرأة لا تشكر لزوجها و هي لا تستغني عنه ] و جاء عنه صلى ا [ عليه و سلم

أنه قال : [ إذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب ] و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ أيما امرأة ماتت و زوجها عنها راض دخلت الجنة ] . فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها و تجتنب سخطه و لا تمتنع منه متى أرادها لقول النبي صلى الله عليه وسلم : [ إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأتها و إن كانت على التنور ] قال العلماء : إلا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس فلا يحل لها أن تجيئه و لا يحل للرجل أيضا أن يطلب ذلك منها في حال الحيض و النفاس و لا يجامعها حتى تغتسل لقول الله تعالى : { فاعتزلوا النساء في المحيض و لا تقربوهن حتى يطهرن } أي لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن قال ابن قتيبة : يطهرن ينقطع عنهن الدم فإذا تطهرن أي اغتسلن بالماء و الله أعلم .

و لما تقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم : [ من أتى حائضا أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد ] و في حديث آخر : [ ملعون من أتى حائضا أو امرأة في دبرها ] و النفاس مثل الحيض إلى الأربعين فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد إتيانها في حال الحيض و النفاس و تطيعه فيما عدا ذلك و ينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها و لا في ماله إلا بإذنه و تقدم حقه على حقها و حقوق أقاربه على حقوق أقاربها و تكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة و لا تفتخر عليه بجمالها و لا تعيبه بفتح إن كان فيه قال الأصمعي : دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها : كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا ؟ فقالت : اسمع يا هذا لعله أحسن فيما بينه و بين الله خالقه فجعلني ثوابه و لعلي أسأت فجعله عقوبتي . و قالت عائشة Bها : يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها .

و قال صلى الله عليه وسلم : [ نساؤكم من أهل الجنة الودود التي إذا آذت أو أوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول : لا أذوق غمضا حتى ترضى ] . و يجب على المرأة أيضا دوام الحياء من زوجها و غض طرفها قدامه و الطاعة لأمره و السكوت عند كلامه و القيام عند قدومه و الابتعاد عن جميع ما يسخطه و القيام معه عند خروجه و عرض نفسها عليه عند نومه و ترك الخيانة له في غيبته في فراشه و ماله و بيته و طيب الرائحة و تعاهد القدم بالسواك و بالمسك و الطيب و دوام الزينة بحضرتة و تركها الغيبة و إكرام أهله و أقاربه و ترى القليل منه كثيرا .

( فصل ) في فضل المرأة الطائعة لزوجها و شدة عذاب العاصية ينبغي للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله و طاعة زوجها و تطلب رضاه جهدها فهو جنتها و نارها لقول النبي صلى الله عليه وسلم : [ أيما امرأة ماتت و زوجها عنها راض دخلت الجنة ] و في

الحديث أيضا : [ إذا صلت المرأة خمسا و صامت شهرها و أطاعت بعلمها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت ] .

و روي عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال : [ يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء و الحيتان في الماء و الملائكة في السماء و الشمس و القمر ما دامت في رضا زوجها و أيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين و أيما امرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن تضاحكه و تسترضيه و أيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع ] .

و جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أيضا قال : [ أربع من النساء في الجنة و أربع في النار فأما الأربع اللواتي في الجنة : فامرأة عفيفة طائعة لله و لزوجها ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها ذات حياء إن غاب عنها حفظت نفسها و ماله و إن حضر أمسكت لسانها عنه و الرابعة امرأة مات عنها زوجها و لها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها و ربتمهم و أحسنت إليهم و لم تتزوج خشية أن يضيعوا و أما الأربع اللواتي في النار من النساء : فامرأة بذينة اللسان على زوجها أي طويلة اللسان على زوجها أي طويلة اللسان فاحشة الكلام إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها و إن حضر آذته بلسانها و الثانية : امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق و الثالثة : امرأة لا تستر نفسها من الرجال و تخرج من بيتها متبرجة و الرابعة : امرأة ليس لها هم إلا الأكل و الشرب و النوم و ليس لها رغبة في الصلاة و لا في طاعة الله و لا طاعة رسوله و لا طاعة زوجها فالمرأة إذا كانت بهذه الصفة و تخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار إلا أن تتوب إلى الله ] و قال النبي صلى الله عليه و سلم : [ اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ] و ذلك بسبب قلة طاعتهم لله و رسوله و لأزواجهم و كثرة تبرجهم و التبرج إذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها و تجملت و تحسنت و خرجت تفتن الناس بنفسها فإن سلمت هي بنفسها لم يسلم الناس منها و لهذا قال النبي صلى الله عليه و سلم : [ المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان ] .

و أعظم ما تكون المرأة من الله ما كانت في بيتها و في الحديث أيضا المرأة عورة فاحبسوها في البيوت فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها : أين تريدان ؟ قالت : أعود مريضا أشيع جنازة فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها و ما التمس المرأة رضا الله بمثل أن تقعد في بيتها و تعبد ربها و تطيع بعلمها و قال علي بن أبي طالب لزوجته فاطمة عليها السلام : يا فاطمة ما خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال و لا يروها و كان علي بن أبي طالب يقول : ألا تستحون ألا تغارون ؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم و ينظرون إليها ! ] و كانت عائشة و حفصة عليها السلام يومئذ عند النبي صلى الله عليه و سلم جالستين فدخل ابن أم مكتوم و كان أعمى فقال النبي صلى الله عليه و سلم احتجبا منه فقالتا : يا رسول الله أليس هو أعمى

لا يبصرنا و لا يعرفنا ؟ فقال صلى الله عليه و سلم : أفعميا وان أنتما ألتتما تبصرانه [ ؟ .  
فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض من طرفه عن النساء فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن  
الرجال كما تقدم من قول فاطمة Bها : إن خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال و لا يروها فإن  
اضطرت للخروج لزيارة والديها و أقاربها و لأجل حمام و نحوه مما لا بد لها منه فلتخرج  
بإذن زوجها غير متبرجة في ملحفة و سخة في ثياب بيتها و تغض طرفها في مشيتها و تنظر إلى  
الأرض لا يمينا و لا شمالا فإن لم تفعل ذلك و إلا كانت عاصية و قد حكى أن امرأة كانت من  
المتبرجات في الدنيا و كانت تخرج من بيتها متبرجة فماتت فرآها بعض أهلها في المنام و  
قد عرضت على الله عز و جل في ثياب رقاق فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها و قال : خذوا بها  
ذات الشمال إلى النار فإنها كانت من المتبرجات في الدنيا .

و قال علي بن أبي طالب Bه : [ دخلت على النبي صلى الله عليه و سلم أنا و فاطمة Bها و  
وجدناه يبكي بكاء شديدا فقلت له : فداك أبي و أمي يا رسول الله ما الذي أبكاك ؟ قال : يا  
علي ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي يعذبن بأنواع العذاب فبكيت لما رأيت من  
شدة عذابهن و رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها و رأيت امرأة معلقة بلسانها و  
الحميم يصب في حلقها و رأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها و يداها إلى ناصيتها و رأيت  
امرأة معلقة بثدييها و رأيت امرأة رأسها رأس خنزير و بدنها بدن حمار عليها ألف ألف لون  
من العذاب و رأيت امرأة على صورة الكلب و النار تدخل من فيها و تخرج من دبرها و  
الملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار .

فقامت فاطمة Bها و قالت : حبيبي و قره عيني ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب ؟  
فقال صلى الله عليه و سلم : يا بنية أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من  
الرجال و أما التي كانت معلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها و أما المعلقة بثدييها  
فإنها كانت تفسد فراش زوجها و أما التي تشد رجلاها إلى ثدييها و يداها إلى ناصيتها و قد  
سلط عليها الحيات و العقارب فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة و الحيض و تستهزء  
بالصلاة و أما التي رأسها رأس خنزير و بدنها بدن حمار فإنها كانت نمامة كذابة و أما  
التي على صورة الكلب و النار تدخل من فيها و تخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة [ .  
و [ عن معاذ بن جبل Bه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا تؤذي المرأة زوجها في  
الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله و يا بنية الويل لامرأة تعصي  
زوجها [ .

( فصل ) : و إذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها و يطلب رضاه فالزوج أيضا مأمور  
بالإحسان إليها و اللطف بها و الصبر على ما يبدو منها من سوء خلق و غيره و إيصالها حقها  
من النفقة و الكسوة و العشرة الجميلة لقول الله تعالى : { و عاشروهن بالمعروف } و لقول

النبي صلى الله عليه وسلم : [ استوصوا بالنساء ألا إن لكم على نساءكم حقا و لنسائكم عليكم حقا فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن و طعامهن و حقم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون و لا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ] و قوله صلى الله عليه وسلم : [ عوان ] أي أسيرات جمع عانية و هي الأسيرة شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة في دخولها تحت حكم الرجل بالأسير .

و قال صلى الله عليه وسلم : [ خيركم خيركم لأهله ] و في رواية [ خيركم أطفكم بأهله ] و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد اللطف بالنساء و قال صلى الله عليه وسلم : [ أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه و أيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ] .

و قد روي أن رجلا جاء إلى عمر بن الخطاب يشكو خلق زوجته فوقف على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها و تخاصمه و عمر ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل راجعا و قال : إن كان هذا حال عمر مع شدته و صلابته - و هو أمير المؤمنين - فكيف حالي ؟ فخرج عمر فرآه موليا عن بابه فناده و قال : ما حاجتك يا رجل ؟ فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي و استطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك فرجعت و قلت : إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي ؟ فقال عمر : يا أخي إنني احتملتها لحقوق لها علي : إنها طبخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي و ليس ذلك كله بواجب عليها و يسكن قلبي بها عن الحرام فأنا احتملتها لذلك فقال الرجل : يا أمير المؤمنين و كذلك زوجتي قال عمر : فاحتملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة .

و حكى أن بعض الصالحين كان له أخ في الله و كان من الصالحين يزوره في كل سنة مرة فجاء لزيارته فطرق الباب فقالت امرأته : من ؟ فقال : أخو زوجك في الله جئت لزيارته فقالت : راح يحتطب لا رده الله و لا سلمه و فعل به و فعل و جعلت تدمدم عليه فبينما هو واقف على الباب و إذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل و قد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد و هو يسوق بين يديه فجاء فسلم على أخيه و رحب به و دخل المنزل و أدخل الحطب و قال للأسد : اذهب بارك الله فيك ثم أدخل أخاه و المرأة على حالها تدمدم و تأخذ بلسانها و زوجها لا يرد عليها فأكل مع أخيه شيئا ثم ودعه و انصرف و هو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة قال : فلما كان العام الثاني جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته : من بالباب ؟ قال أخو زوجك فلان في الله فقالت مرحبا بك و أهلا و سهلا اجلس فإنه سيأتي إن شاء الله بخير و عافية قال : فتعجب من لطف كلامها و أدبها إذ جاء أخوه و هو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضا لذلك فجاء فسلم عليه و دخل الدار و أدخله و أحضرت المرأة طعاما لهما و

جعلت تدعو لهما بكلام لطيف فلما أراد أن يفارقه قال : يا أخي أخبرني عما أريد أن أسألك  
عنه قال : و ما هو يا أخي ؟ قال : عام أول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة  
الأدب تدم كثيرا و رأيتك قد أتيت من نحو الجبل و الحطب على ظهر الأسد و هو مسخر بين يديك  
و رأيت العام كلام المرأة لطيفا لا تدمدم و رأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب ؟  
قال يا أخي : توفيت تلك المرأة الشرسة و كنت صابرا على خلقها و ما يبدو منها كنت معها  
في تعب و أنا أحتملها فكان ا□ قد سخر لي الأسد الذي رأيت يحمل عني الحطب بصبري عليها و  
احتمالي لها فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة و أنا في راحة معها فانقطع عني الأسد  
فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهري لأجل راحتي مع هذه المرأة المباركة الطائفة فنسأل ا□ أن  
يرزقنا الصبر على ما يحب و يرضى إنه جواد كريم